Kırıkkale Üniversitesi Sosyal Bilimler Dergisi (KÜSBD)
Cilt 9, Sayı Özel, Aralık 2019, Sayfa 195-218
Kırıkkale University Journal of Social Sciences (KUJSS)
Volume 9, No Special, December 2019, Pages 195-218

مراحل تطوُّر علم البلاغة عند العرب

Mustafa ALMAVAS [1]

ملخص:

البلاغة العربية ركن أساسي من أركان الدراسات القرآنية والفقهية كما أنها ركن أساسي من دراسة البلاغة النبوية في الحديث الشريف، وكلام العرب في منجزيه: الشعري والنثري.

يتناول هذا البحث نشأة علم البلاغة العربية والخلاف حول مفهومي الفصاحة والبلاغة بين رواد البلاغة العربية، ثم نعرض فيه أبرز المسائل البلاغية في التراث البلاغي.

نشأة البلاغة تتشكل من ثلاث مراحل. من خلال مراحله الأولى التي كانت تدور حول مناظرات الشعراء وسجالاتهم والتحكيم فيما بينهم ممن يشهد لهم بالسبق كالنابغة الذبياني، إضافةً إلى آراء اللغويين والنحاة وعنايتهم بالألفاظ ودلالتها. أما المرحلة الثانية فهي التي كان التصنيف البلاغي متضمَّناً إمّا في كتب الأدب العامة أو في كتب النقد وهي تمتد من القرن الثالث الهجري إلى أواخر القرن الرابع الهجري. أما المرحلة الثالثة فهي التي فرغ فيها مؤلّفون من النقاد بتخصيص الحديث بالبلاغة وتقييدها وتسمية أجزائها، حيث ظهرت كتب البلاغة الخالصة.

كما سنقف عند أهم علماء البلاغة العربيّة ممّن يُعدُّون مؤسّسي عِلم البلاغة العربيّة وسنعرّف بأهمّ كتبهم ومؤلّفاتهم؛ ومن أهم هؤلاء الجاحظ الذي أورد في كتابه "البيان والتبيين" كثيراً من الآراء حول الفصاحة والبلاغة والخطابة، وسرد نماذج لجيّد الشعر، ومُتخيَّر خُطب العرب، وأبي الهلال العسكري صاحب "كتاب الصناعتين" الذي أورد فيه تقريباً كلّ ما عُرف إلى عصره من مباحث علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، وإن كانت لم تكن بعد قد استقلّت وتميّز بعضها عن بعض، والسَّكاكي صاحب كتاب "مفتاح العلوم" وقد قسَّمه للبيان والمعاني لكنّهما صيغا وفق النظرة المنطقيّة وحدودها العلميّة الشكليّة، وعبد القاهر الجرجاني صاحب "أسرار البلاغة" الذي وضع نظرية علم البيان بقواعده ومباحثه.

كما سنعرض في هذا البحث معنى الفصاحة والبلاغة، ونقف عند أهم المصطلحات البلاغيّة وتطوّر تلك المصطلحات من قرن إلى آخر.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، علم البيان، علم البديع، الجاحظ، الجرجاني.

Araplarda Belâğat İlminin Gelişme Aşamaları

Öz

Arap Belağatı. Kuran. Hadis. fıkıh. şiir ve nesir araştırmalarının temelini oluşturmaktadır. Bu çalışma. Belağat ilminin doğuşu ve yayılması. fesahat ve belâğat arasındaki farklılıkların belâğatcilarin açıkladığı şekilde dile getirilmesi. belâğata ait olan meselelerin belâğat kültürü içerisinde incelenmesini içermektedir.

[1] Öğr. Gör., Kırıkkale Üniversitesi, Fen Edebiyat Fakültesi, Mütercim Tercümanlık (Arapça), mustafamawas101@gmail.com.

Belağatın gelişimi 3 aşamadan oluşmaktadır. İlk aşamada şairler. Nebiğa ez-Zubyânî'nin de aralarında olduğu hakem heyetine ve kelimelerin anlamlarına dikkat çekmek için dilbilimcilere şiirlerini sunarlardı. İkinci aşama. hicri 3. asırla 4. asrın sonlarina kadar tenkid kitapları ve genel edebiyat kitabları adıyla belağat ilminin sınıflandırıldığı dönemdir. Üçüncü aşamada da belağat ilmi ile alakalı maddeleri kayıt altına alma. isimlendirme üzerine özel calışmalar yapılmış ve özel belâğat kitapları telif edilmiştir.

Ayrıca en önemli belâğat alimleri ve bu alimlerin yazdigi en önemli belağat kitapları uzerinde duracağız. Bunlarin en önemlisi Cahizdir ki "el-Beyân ve't-Tebyîn" adlı kitabinda hitabet. belâğat ve fesahatla alakalı pek cok görüş bildirmiş ve güzel şiir örnekleri aktarmıştır. Ve Ebu Hilal el-Askeri "Kitabu's-Sınâ'ateyn" isimli kitabında kendi asrına kadar olan Belâğat. Ma'âni. Beyan ve Bedi' ile alakalı - her ne kadar bu kitapta bunlari ayri ayri beyan etmemiş olsada - tüm bilgileri yazmistir. es-Sekkaki ise "Miftâhu'l-'Ulûm" adlı kitabın İlmi Beyan ve İlmi Bedi' diye iki kısma ayırıp mantığa uygun ve bilimsel sekilde yazmistir.Abdulkadir el-Curcânî de "Esrâru'l-Belâğa" adlı eserinde ortaya koyduğu kurallar ve görüşlerle Beyan ilmini teorik temellere oturtmuştur.

Son olarak da fesahat ve belâğattan bahisedip belâğat terimleri üzerinde duracağız.

Anahtar Kelimeler: Belağat, el-Beyân, el-Bedî, el-Câhız, el-Curcânî.

Development Stages of Arabian Rhetoric

Abstrack

Arabic Rhetoric is the basis of the research on Qur'an، Hadith، fiqh، poetry and prose. This study includes the birth and dissemination of the science of rhetoric، the remarks of researchers studying the discrepancy between rhetoric and fluency، the eloquence of rhetoric، and the analysis of rhetoric issues in rhetoric culture. The development of rhetoric consists of 3 stages. In the first stage، poets used to present their poems to linguists to draw attention of the referee committee، including al-Nâbighah al-Dhubiyânî to the meaning of the words. The second stage is the period in which the science of rhetoric was classified under the name of criticism books and general literature books until the end of the 3rd century and 4th century of the Muslim calendar. In the third stage، special studies were conducted and special rhetoric books were copyrighted in order to record the items related to the science of rhetoric. In this study، we will focus on the most important rhetoric scholars and the most important rhetoric books written by these scholars. Being the most important of these al-Jahiz gave many opinions about rhetoric، oratory and fluency in his book called as al-Bayan wa al-tabyin. Abu Hilal al-Askari wrote all the information regarding the rhetoric، aesthetic، and exposition in his book called Kitab as-Sinâ'atayn، though he did not declare them separately. However، following a reasonable and scientific manner، al Sakkaki split his book called Miftāḥ al-'ulûm in two parts including the science of aesthetic and exposition. In addition، Abdulqadir al Jurjânî laid the basis for the science of exposition in his work called Asrār al-Balāghah with rules and ideas. Last but not the least، this study will briefly mention fluency and rhetoric، but will focus on the terms related to the rhetoric.

Keywords: Rhetorics، Exposition، Aesthetics، al-Jahiz، el-Jurjânî

تمهيد – بين اللغة والأدب والبلاغة

كان عربُ الجاهلية متمكنين من لغتهم وبلغوا فيها شأواً بعيداً حتى قال خطيبهم أكثم بن صيفي:" البلاغة الإيجاز".(القرشي، د.ت، 165). والبلاغة متصلة اتصالاً وثيقاً باللغة والأدب والنقد، فقلَّ أن يخلو من الإشارات إلى موضوعاتها كتابٌ في اللغة أو الأدب أو النقد. ففي كتاب سيبويه(180ه) إشاراتٌ كثيرةٌ مما دخل فيما بعد تحت مسمى البلاغة وإن كانت شهرة سيبويه في النحو، فإنَّ كتابه لم يكن في النحو فقط، وإنما هو كتاب في علوم العربية؛ فيه النحو والصرف والبلاغة. ولو استعرضنا بعض أبواب الكتاب لوقفنا على كلام في البلاغة، لكنه يختلف عن كلام البلاغيين الذين عرَّفوا المصطلحات والتقسيمات. يقول سيبويه:" هذا باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام والإيجاز والاختصار، ويستشهد على ذلك بقوله تعالى: (واسأل القرية التي كنا فيها) (يوسف، 63) ثم يقول: إنما يريد أهل القرية فاختصر الفاعل ". (الكتاب، 1988، 90/1)، ومثل ذلك ما يقوله في تعليل الإضمار والحذف وتعليل تقديمهم للفاعل وكل ما يتصل بالمسند والمسند إليه، وما يعتريهما من حذف وذكر وتقديم وتأخير "وقد كان ظاهرا في كلام سيبويه اهتمامه بالجانب النحوي للتقديم والتأخير في ضبط الوجوه الجائزة لتقديم المفعول به واهتمامه بالجانب البلاغي في التنبيه على غرض الاهتمام والعناية بالمقدَّم"(Ahmet،İsmailoğlu ، 2014، ص 128) وكذلك كل ما يتصل بأساليب العرب من التعجب والاستفهام". (مبارك، د.ت، 252)، " .ثم ظهرت كتب الجاحظ(255ه) فكانت ممتلئة بالأحاديث عن البلاغة، كما كان ممتلئة بالنماذج الأدبية، فهو أديب بصيرٌ بأدوات الأدب واللغة والفكر وحسن التصوير، أطاعته الألفاظ فأعطته مالم تعطِ أحداً. أثار الجاحظ بعض القضايا البلاغية العامة كالعيوب اللسانية التي جاءت عنده تحت عنوان (ذكر الحروف التي تدخلها اللثغة"). (البيان والتبيين، د.ت، 34/1) . كما تعرَّض لها عند الحديث عن عيوب الخطباء ونبَّه على وجوب مراعاة مقتضى الحال، وقسَّم الكلام إلى طبقات تتناسب مع طبقات الناس فقال:" كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميًّا وساقطاً، كذلك لا ينبغي أن يكون غريباً ووحشياً، فإن الوحشي من الكلام لا يفهمه إلا الوحشي من الناس".(البيان والتبيين، د.ت، 144/1) . وظهر بعد ذلك كتاب(الكامل في اللغة والأدب) لمحمد بن يزيد المبرّد(285ه) والكتاب غير مقصور على اللغة والأدب وإنما يتناول مسائل لغوية أدبية بطابعٍ بلاغي، فكثيرا ما كان المبرد يشير إلى بعض الصيغ التي خرجت عمَّا وضعت له كصيغة الاستفهام في قول عبدالله بن معاوية:

أأنتَ أخي ما لمْ تكنْ لي حاجةٌ فإنْ عرضتَ أيقنتُ أنْ لا أخاليا

فقد نبَّه المبرد إلى أنَّ هذا تقريرٌ وليس استفهاماً. وكان لفنون البيان ولا سيما التشبيه نصيبٌ كبيرٌ من الكتاب، فقد تناول المبرد هذه الضروب من البيان في مناسبات عديدة؛ بل لقد أفرد لها باباً أطال فيه الحديث وهو (بابٌ في التشبيه) . (الكامل، 1969، 74/2). والمبرد هو من مهَّد لظهور أول كتاب بلاغي عرفناه، وهو كتاب (البديع) لعبدالله بن المعتز تلميذ المبرد.

ثم تتالت من بعده المؤلفات وكان أشهر ماظهر منها في القرن الرابع الهجري كتب امتزجت البلاغة فيها بالنقد واتخذت كثيرا من الأمور البلاغية فيها مقاييس يُنقّدُ الأدب على أساسها، ويحكم عليه بالجودة أو بالرداءة وذلك

كما في كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر(337ه) ، وكتاب الموازنة بين الطائيين للآمدي(371) وكتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني(392ه) وكتاب الصناعتين للعسكري(395ه).

1. نشأة علوم البلاغة العربيّة

إنَّ الحديث عن بدايات البلاغة العربيَّة ونشأتها يتطلّب العودة إلى أدب العرب في العصر الجاهلي، وتعقُّب تلك الصور البيانية التي كان الشاعر يبثّها في نسيج شعره، ومن مظاهر ذلك ما عُرف عنهم من تحكيم الشعراء في الأسواق والمنتديات الأدبية في الجاهلية من مثل ما يروى عن النابغة الذبياني أنّه "كانت تُضرب له قبّةٌ من أدمٍ بسوق عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء فدخل عليه حسّان بن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشده شعره وانشدته الخنساء حتى انتهت إلى قولها:

وإنَّ صخراً لتأتمُّ الهداة به كأنّه علمٌ على رأسه نارُ

فقال: لولا أنَّ أبا بصير "الأعشى" أنشدني قبلكِ لقلت إنَّك أشعر الناس"(الأصفهاني، 1988، ص34)

مما سبق يمكننا القول بأننا نستطيعُ أن نلتمس بدايات البلاغة العربية في مناظرات الشعراء وسجالاتهم وتحكيم بعضهم ممن يُشهد لهم بالسبق كالنابغة، ومن تسريح الشاعر لنظره غير مرة في شعره ليشذّب ويقذّي ما اعتور شعره من الاذى...وفق مقاييس البلاغة الأصيلة.

"وفي عصري صدر الإسلام والأمويّ نشطت تلك المحاورات الأدبية الناقدة وتتبعت النتاج الشعري في القصور والمنتديات والأسواق كالمِربَد وكناسة، ومع نشاط شعراء النقائض والشعراء الغزليين.وفي طرف الخطابة نجد حيويّةً دافقة تحيط بالجدل والمناقشات الفكرية التي احتاج معها المتكلّمون من المعتزلة وسواهم إلى العناية بالبلاغة ورسومها ليحقّقوا الغلبة على الخصوم بإظهار الحجج بيّنةً واضحة"(فايز الداية، 1993، ص8). وقد كان لطبقة اللغويين والنحاة والرواة أثرٌ بارزٌ في نشأة البلاغة وتطورها."فاللغويون والنحاة عنوا ببحث الألفاظ ودلالاتها، وباللغة وقواعد بيانها، وتحدّثوا في الاستعمالات المختلفة للكلمات"(عبد العزيز عتيق، 1980، ص33).

"أما المرحلة الثانية فهي التي كان التصنيف البلاغي متضمّناً إمّا في كتب الأدب العامة أو في كتب النقد وهي تمتد من القرن الثالث الهجري إلى أواخر القرن الرابع الهجري"(فايز الداية، 1993، ص9).

"أما المرحلة الثالثة فهي التي فرغ فيها مؤلّفون من النقاد بتخصيص الحديث بالبلاغة وتقييدها وتسمية أجزائها، فظهرت كتب البلاغة الخالصة"(فايز الداية، 1993، ص10).

ونذكر من أهم تلك الكتب كتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني الذيّ يعَدّ بحقٍّ أوّل من أرسى أركان البيان والبديع والمعاني.إذاً هذا ما كان من نشأة البلاغة العربية وتطورها عبر عدّة قرون، فقد بدأت كما أسلفنا عبارةً عن لمحات وإشارات بلاغية شفاهية، ثم تطوّرت تلك الإشارات وضُمّنَت كتب الأدب العامّة والنقد، إلى أن أصبحت عِلماً قائماً بذاته خُصّصت له كتبٌ منفردةٌ به تقعّدُ له وتؤسّس.

2. المشهورون في البلاغة العربيّة

سنقف عند أهم علماء البلاغة العربيّة ممّن يُعدُّون مؤسّسي عِلم البلاغة العربيّة وسنعرّف بأهمّ كتبهم ومؤلّفاتهم.

أ-الجاحظ: هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ(موسوعة أعلام العلماء والادباء العرب والمسلمين، 24/5.)، أديب وعالم موسوعي، الكنانيّ ولاءً البصريّ مولداً نحو عام 150 هـ أو 158 هـ، والمتوفّى عام 255 هـ. وقد عُرف بين معاصريه بغزارة التأليف والإنتاج العلميّ، وقد أُختلف في عدد من كتبه ومصنَّفاته إلا أنَّ "ياقوت الحموي في معجم الأدباء قد ذكر فهرست كتبه ورسائله فأثبت منها مائة وثمانية وعشرين مصنّفاً "(الجاحظ، 1938، 6/1). ويعدُّ كتابه "البيان والتبيين" أهمَّ كتبه وأعلاها شأناً، فهو أصل من أصول الأدب، وتلمذ له جمهور كبير من الأدباء والمتعلّمين.

"وقد أورد الجاحظ فيه كثيراً من الآراء حول الفصاحة والبلاغة والخطابة، وسرد نماذج لجيّد الشعر، ومُتخيَّر خُطب العرب، والجاحظ لم يفرد بحوثاً خاصّةً بالاستعارة والتشبيه والكناية كما نألف في كتب البلاغة إلاّ أنّه وضع ركيزة الاهتمام البلاغيّ ووجهّ إليه أنظار الباحثين والأدباء"(فايز الداية، 1993، ص9).فلم تكن البلاغة مستقلة عن الخطابة؛ فقد اختلطت العبارتان عند الجاحظ وترادفتا في المعنى، فتحدَّث عن البلاغة في الخطابة في مواضع كثيرة من بيانه. كقوله في حديثه عن سهل بن هارون: "وكان يقول: إذا كان الخليفةُ بليغًا، والسيِّد خطيبًا، فإنَّك تجد جمهورَ الناس وأكثر الخاصّةِ فيهما على أمرين..."(الجاحظ، 1938، 90/2).

فقد وصف الخليفة بالبلاغة في خطبه، وأتبعه بقوله" السيِّد خطيبًا " مما يوضح أن المقصود بالبلاغة هنا الخطابة. وقد أشار إلى قواعد الخطابة، وتحدَّث عن العيوب التي يمكن أن تصيب الخطيب، وأورد أسماء كثيرين من خطباء العرب، وتحدَّث عن صفاتهم وأخبارهم، وأورد تعريفات كثيرة للبلاغة في البيان والتبيين، بعضها للعرب، وبعضها للأمم الأخرى، مبرزًا سعة ثقافته، وكاشفًا عن تصوّر العرب وغيرهم للبلاغة. حيث يقول: ((قيل للفارسيّ: ما البلاغة؟ قال: معرفةُ الفصل من الوصل. وقيل لليونانيّ: ما البلاغة؟ قال: تصحيحُ الأقسام واختيارُ الكلام. وقيل للروميّ: ما البلاغة؟ قال: حسنُ الاقتضاب عند البداهة، والغزارةُ يوم الإطالة. وقيل للهنديّ: ما البلاغة؟ قال: وضوحُ الدلالة، وانتهازُ الفرصة، وحسنُ الإشارة. وقال بعض أهل الهند: جُمَّاع البلاغة التبصّرُ بالحُجَّة، والمعرفةُ بمواضع الفرصة)). (الجاحظ، 1938، 80/1) .فالجاحظ يرى في كلّ تعريف إيضاحًا لجانبٍ ما من جوانب البلاغة، أمَّا تصوُّر الجاحظ لها فإنَّا نجده في ردّه على قول العتّابيّ، حيث ((سُئِلَ العتّابيّ: ما البلاغة؟ فقال: كلُّ مَنْ أفهمك حاجته من غير إعادة، ولا حُبْسَةٍ ولا استعانة فهو بليغ، فإنْ أردتَ اللسانَ الذي يروق الألسنة، ويفوق كل خطيب، فإظهارُ ما غمض من الحقّ وتصويرُ الباطل في صورة الحقّ. قال: فقلت له: قد عرفتُ الإعادةَ والحُبْسَة فما الاستعانة؟ قال: أَمَا تراه إذا تحدَّث قال عند مقاطع الكلام: يا هَنَاهُ، ويا هذا، ويا هيَه، واسمعْ منّي، واستمعْ إليَّ، وافهم عنّي، أولستَ تفهمُ، ، أولست تعقل، فهذا كله وما أشبهه عيٌّ وفساد))(الجاحظ، 1938، ¼). فالعتّابي يقصد بالبلاغة الإفهام فقط بأيّ طريقة تمّ ذلك. وهنا يوجه الجاحظ رأي العتّابيّ التّوجيه الصحيح، ويوضح رأيه في البلاغة. حيث يقول: ((والعتّابيّ حين زعم أن كل من أفهمك حاجتَه فهو بليغٌ،

لم يَعْنِ أن كلَّ من أفهمنا من معاشر المولدين والبلديين قصده ومعناه، بالكلام الملحون، والمعدول عن جهته، والمصروف عن حقِّه، أنه محكومٌ له بالبلاغة كيف كان، بعد أن نكون قد فهمنا عنه، ونحن قد فهمنا معنى كلام النبطيّ الذي قيل له: لِمَ اشتريتَ هذه الأتان؟ قال: أركبُها وتلَد لي. وقد علمنا أنَّ معناه كان صحيحًا. فمن زعم أن البلاغة أن يكون السّامعُ يفهم معنى القائل، جعلَ الفصاحة واللُّكنة، والخطأ والصواب، والإغلاق والإبانة، والملحون والمُعْرَب، كله سواءً وكلّه بيانًا.

وكيف يكون ذلك كلُّه بيانًا، ولولا طولُ مخالطة السامع للعجم وسماعه للفاسد من الكلام لما عَرَفه. ونحن لم نفهم عنه إلاَّ للنقص الذي فينا، وأهلُ هذه اللغة وأرباب هذا البيان لا يستدلُّون على معاني هؤلاء بكلامهم كما لا يعرفون رِطانة الروميّ والصَّقْلبيّ، وإن كان هذا الاسم إنَّما يستحقونه بأنَّا نفهم عنه كثيرًا من حوائجهم. فنحن قد نفهم بحمحمة الفرس كثيرًا من حاجاته، ونفهم بضُغاء السِّنور كثيرًا من إرادته. وكذلك الكلب والحمار والصبيُّ الرضيع. وإنما عنى العتّابيّ إفهامك العربَ حاجتَك على مجاري كلام العرب الفصحاء...))(الجاحظ، 1938، 1/161-162).

فالبلاغة، في نظر الجاحظ، لا تعني الإفهام فقط؛ لأننا بذلك لا نميز بين الإفهام الجيد والإفهام الرديء، إضافة إلى إلغاء فضل تأثير التقديم الجيّد، فشتان بين مَن أفهمك حاجته بصورة جامدة، وبين من أفهمك حاجته بشكل مؤثر. وهذا إنما يتأتَّى بفضل الأسلوب الحسن، والشكل المتميز. إلا أن أكثر التعريفات تعبيرًا عن ماهيّةَ البلاغة، في نظر الجاحظ، يظهر في قوله الذي يربط فيه بين الألفاظ والمعاني: ((وقال بعضهم – وهو من أحسن ما اجتبيناه ودوَّنَّاه- لا يكون الكلامُ يستحقّ اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظَه، ولفظُه معناه، فلا يكون لفظُه إلى سمعك أسبقَ من معناه إلى قلبك)) (الجاحظ، 1938، 1/115). وللجاحظ رسالة حول البلاغة عنوانها " البلاغة والإيجاز"، وفيها يعرِّف البلاغة بأنها إصابة المعنى والقصد إلى الحجة دون فضل أو تقصير، أي دون تطويل أو إيجاز، يقول: ((والبلاغةُ إصابةُ المعنى والقصدُ إلى الحجة مع الإيجاز، ومعرفةُ الفصل من الوصل))(الجاحظ، 1938، 4/151). فالكلام البليغ إذًا هو الذي نستخدم فيه من الألفاظ مايسعفنا لإبلاغ المعنى إلى السّامع، وهذا معنى قوله: ((ربّما كان الإيجاز محمودًا، والإكثار مذمومًا، وربما رأيت الإكثار أحمدَ من الإيجازِ، ولكلٍّ مذهب ووجه عند العاقل، ولكلّ مكان مقال، ولكلّ كلامٍ جواب...))(الجاحظ، 1938، 4/152). أمّا البيان فقد عقد له الجاحظ بابًا خاصًّا في بيانه سماه "باب البيان"، أحصى فيه طائفة من الأقوال المأثورة في أهمية البيان، وعظم تأثيره، وضرورته للإنسان للإفصاح عن عقله وفكره، فينقل عن جهابذة الألفاظ ونقَّاد المعاني قولهم: ((المعاني القائمة في صدور الناس، المتصورةُ في أذهانهم، والمتخلّجة في نفوسهم والمتّصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشيَّة، ومحجوبةٌ مكنونة، وموجودة في معنى معدومة لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ... وإنما يحيي تلك المعاني ذكرُهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالُهم إيَّاها. وهذه الخصالُ هي التي تقرّبها من الفهمَ وتجلِّيها للعقل، وتجعل الخفيَّ منها ظاهرًا، والغائبَ مُشَاهَدًا، والبعيدَ قريبًا...))(الجاحظ، 19381/35).

ب-أبو هلال العسكري: من أدباء القرن الرابع الهجري، وهو "الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، أبو هلال: عالمٌ بالأدب، له شعرٌ، نسبته إلى (عسكر مكرم) من كور الأهواز"(خير الدين الزركلي، 2002، 211/2).

وله كتب كثيرة في اللغة والأدب وصلت إلى عشرين كتاباً وصلنا منها ثلاثة هي كتاب (الصناعتين – الكتابة والشعر) وكتاب (ديوان المعاني) وكتاب لغوي (المعجم في بقية الأشياء) وما تبقى من كتبه ربما تناهبته غوائل الايام وصوارف الدهر فضاع ولم يصل إلينا. وما يعنينا في بحثنا هذا كتابه (الصناعتين – الكتابة والشعر)."وقد صرّح أنّه لم يؤلفه على طريقة المتكلمين، وإنّما ألفّه على طريقة صنّاع الكلام من الشعراء والكتّاب، وقد ألمّ فيه تقريباً بكلّ ما عُرف إلى عصره من مباحث علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، وإن كانت لم تكن بعد قد استقلّت وتميّز بعضها عن بعض"(عبد العزيز عتيق، 1980، ص198).

ت-عبدالقاهر الجرجاني: من أدباء القرن الخامس الهجري تُوفي سنة 471هـ، وهو: "عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني أبوبكر: واضع أصول البلاغة، كان من أئمة اللغة من أهل جرجان (بين طبرستان وخراسان) وله شعر رقيق"(خير الدين الزركلي، 2002، 174/4).

له كتب كثيرة في النحو والبلاغة، وما يهمّنا في بحثنا كتاباه: (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)، وقد أرسى من خلالهما أركان البلاغة بأقسامها: البيان والبديع والمعاني.وممّا قدّم به عبد القاهر لبحوثه في أسرار البلاغة قوله: "وأوّل ذلك وأولاه، وأحقّه بأن يستوفيه النظر ويتقصّاه: القول على التشبيه والتمثيل والاستعارة، فإنّ هذه أصول كبيرة كان جُلُّ محاسن الكلام -إن لم نَقُل كلّها- متفرعةً عنها وراجعةً إليها"(عبد القاهر الجرجاني، 1992، ص2)."ففي هذا الكتاب وضع عبد القاهر نظرية علم البيان بقواعده ومباحثه.

ج-السّكّاكيّ: من أدباء القرن السادس الهجري "يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السّكّاكيّ الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، سراج الدين: عالم بالعربيّة والأدب، مولده ووفاته بخوارزم من كتبه (مفتاح العلوم) و (رسالة في علم المناظرة)"(خير الدين الزركلي، 202، 294/9).

و (مفتاح العلوم) مُؤلف بلاغيّ "فيه قسمان للبيان والمعاني لكنّهما صيغا وفق النظرة المنطقيّة وحدودها العلميّة الشكليّة، فكثرت القواعد واضمحلت الشواهد والأعمال الأدبيّة في الكتاب، وبدأت بهذا البلاغة العربيّة رحلةً طويلةً ظلت فيها أسيرة التحكّم الشكليّ والبعد عن التصوّر النقدي المتكامل"(فايز الداية، 1993، ص11).

2. المصطلحات البلاغيَّة وتطوّرها .

سنعرض في هذا القسم من البحث إلى معنى الفصاحة والبلاغة، ونقف عند أهم المصطلحات البلاغيّة وتطوّر تلك المصطلحات من قرن إلى آخر.

أ- الفصاحة: الفصاحة لغةً تدلّ على جملة معانٍ، تدور جميعاً في فَلك البيان والوضوح، إذ تقول العرب: يومٌ فِصْحٌ ومُفصِح، أي لا غيمَ فيه ولا قُرّ(عيسى العاكوب، 1994، ص37).وأفصح الصبح استبان، وأفصح الرَّجل :بيَّن. فالفصاحة تعني: الانكشاف والظهور والوضوح في الأشياء، أمّا في الصنعة الكلامية فتعني: انكشاف دلالة الكلام وظهور حسنه لمتلقيه. والبلاغيون يطلقون صفة الفصاحة على ثلاثة أشياء: الكلمة والكلام والمتكلّم.

ب- البلاغة والبليغ : البلاغة الإنتهاء والوصول، يقال: بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً: وصل وانتهى.(ابن منظور، 1980، مادة بلغ). والبلاغة: الفصاحة، ورجل بليغ: حَسَن الكلام فصيحه، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، وقد بلغ بلاغةً: صار بليغاً.

وللبلاغة في كتاب البيان والتبيين للجاحظ تعريفات كثيرة لعلَّ أجودها: "لا يكون الكلام يستحقُّ اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظَه، ولفظُه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبقَ من معناه إلى قلبك"(الجاحظ، 1938، 115/1). وقال العسكري في تعريف البلاغة: "البلاغة كلُّ ما تبلغ به قلب السامع فتمكّنه في نفسه، مع صورةٍ مقبولة ومعرض حسن(أبو هلال العسكري، 1952، ص10)."

وعرّفها السكاكي تعريفاً دقيقاً فقال: "هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدّاً له اختصاص، بتوفية خواص التراكيب حقّها وإيراد التشبيه والمجاز والكناية على وجهها"(السكاكي، 1995، ص196). أما البليغ فقد قال الحصري: "هو من يحوك الكلام على حسب المعاني ويخيط الألفاظ على قدود المعاني"(الحصري القيرواني، 1916، ص121). "ولا يكون البليغ متّصفاً بالبلاغة إلا إذا كان صاحب ذوقٍ رفيع وثقافةٍ واسعة وذا حفظٍ عظيم لتنطبع الصور في ذهنه ويحذو حذوها في أول الأمرِ ثمَّ ينطلق بعيداً عنها"(أحمد مطلوب، 1987، ص406). ويضم مصطلح البلاغة وفق التعريفات السابقة ثلاثة أقسام سنتناول كلاً منها على حدا وهي:1-المعاني -2-البيان -3-البديع.

3. مصطلحات علم البلاغة :

أولاً: المعاني:

يقول السَّكّاكيّ في تعريف هذا العلم: "هو تتبّع خواصِ تراكيب الكلام في الإفادة وما يّتصل بها من الاستحسان وغيره، لِيُحتَرز بالوقوف عليه عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحالُ ذكرَه"(عيسى العكوب، 1994، ص63). وعرفه الخطيب القزويني بالقول: "هو علمٌ تُعرف به أحوالُ اللفظ العربيّ التي بها يطابق مُقتضى الحال""(عيسى العكوب، 1994، ص63). ويضم علم المعاني مباحثَ ومصطلحاتٍ عديدةً سنقف عند أهمّها وأشيعها:

1) **الإسناد الخبريّ:** "ضمُّ كلمةٍ أو ما يجري مجراها إلى أخرى بحيث يفيد أنَّ مفهوم إحداهما ثابتٌ لمفهوم الأخرى أو منفيٌ عنه. وصدقه مطابقته للواقع وكذبه عدمها، وقيل: صدقه مطابقته للاعتقاد وكذبه عدمها"(عبد القاهر الجرجاني، د.ت، ص17). كأن تقول: (الجاحظُ أديبٌ)، و(ابن الزيّات ليس بشاعرٍ). ففي المثال الأول: إسنادٌ خبريّ ضممت فيه كلمة (أديب) إلى كلمة أخرى هي (الجاحظ). وحكمك هذا أفاد أنَّ مفهوم (الأدبيّة) ثابت لـ (الجاحظ). وفي المثال الثاني إسنادٌ خبري ضممت فيه كلمة (ليس بشاعرٍ) إلى كلمة أخرى هي (ابن الزيّات).

وحكمك هذا أفاد أنَّ مفهوم (الشاعريّة) منفيٌّ عن (ابن الزيّات). والكلمة المضموم إليها تسمَّى (مُسنداً إليه)، والكلمة المضمومة تُسمَّى (مسنداً) والنسبة بينهما تُسمَّى (إسناداً).

أضرب الخبر: الخبر: هو الكلام الذي يمكن أن تقول لقائله إنّه صادق أو كاذب. وله ثلاثة أنواع :

-خبر ابتدائي: لا يتضمن أيّ مؤكد، مثل: المطر نازلٌ.

-خبر طلبي: يتضمن مؤكد واحد، مثل: إنّ المطر نازلٌ

-خبر إنكاري: يتضمن مؤكدين أو ثلاثة مؤكدات، مثل: إنّ المطر لنازلٌ أو والله إنّ المطر لنازلٌ.

وأدوات التوكيد كثيرة، أهمها: إنّ، أنّ، لام التوكيد، اللام المزحلقة، نونا التوكيد، أحرف التنبيه(أمّا، ألا)الأحرف الزائدة، وقد، التكرار، أما الشرطية، القسم، السين، سوف....

2) **الالتفات:** الالتفات لغةً- اللَّيُّ، وصرف الشيء عن جهته المستقيمة. منه لفتُّ الشيء: لويته، ولفتُّ فلاناً عن رأيه: صرفتُه"(أحمد بن فارس، 1979، ص837). وفي اصطلاح جمهرة البلاغيين: "التعبير عن معنى بطريقٍ من الطرق الثلاث التي هي: التكلُّم والخطاب والغيبة، بعد التعبير عن ذلك المعنى بطريقٍ آخر من الطرق الثلاث، بشرط أن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه الظاهر ويترقَّبه السامع"(عيسى العكوب، 1994، ص152).

صور الالتفات: من التكلّم إلى الخطاب: كقوله تعالى: ((وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ))(سورة يس22). فعبَّر أولاً بطريق التكلّم ثمَّ الخطاب. من التكلّم إلى الغيبة: كقوله تعالى: ((إنا أعطيناك الكوثر، فصلِّ لربك وانحر))(سورة الكوثر، 1-2). فالتفت من التكلم إلى الغيبة، والأصل (فصلِّ لنا). من الخطاب إلى التكلم: كقوله تعالى: ((وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ))(سورة هود، 90). من الخطاب إلى الغيبة: كقوله تعالى: ((إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ.) (سورة الأنبياء، 92).

من الغيبة إلى التكلم: كقوله تعالى: ((سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ))(سورة الإسراء، 1) ، والمقتضى (ليُريه). من الغيبة إلى الخطاب: كقوله تعالى: ((مالك يوم الدين، إيّاك نعبد))(سورة الفاتحة، 4-5).

3) **أسلوب الحكيم:** الأسلوب الحكيم تسميةٌ جاء بها السّكّاكيّ وقد أوضح القزويني كلامه فقال: "ومن خلاف المُقتضى ماسمّاه السكّاكيّ الأسلوب الحكيم، وهو تلقّي المخاطب بغير ما يترقّب، بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أنَّه الأولى بالقصد، أو السائل بغير يتطلّب بتنزيل سؤاله مَنزلة غيره تنبيهاً على أنّه الأولى بحاله أو المهمّ له"(الخطيب القزويني، 2003، ص75).

ولأسلوب الحكيم ضربان:

- تلقّي المتكلّمُ المخاطبَ بغير ما يترقّب:

كقول الشاعر لزوجته التي أتت تشكي إليه صعوبة إعداد الطعام للضيفان الذين يتقاطرون على منزل زوجها:

أتت تشتكي عندي مزاولةَ القِرى وقد رأتِ الضيفان يَنــحُون منزلي

فقلت كأني ما سمعتُ كلامــها همُ الضيفُ جِدّي في قِراهم وعجّلي

- تلقّي السائل بغير ما يتطلّب:

كقوله تعالى: ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) (سورة البقرة، 189).

4) **القصر:** القصر لغةً(أحمد بن فارس، 1979، ص778).: الحبسُ، يقال: قصرته إذا حبسته، وهو مقصور، أي :محبوس. قال تعالى: ((حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ))(سورة الرحمن، 72).، وامرأةٌ قاصرة الطرف لا تمدّه إلى غير بعلها كأنّها تحبس طرفَها حَبساً، قال تعالى: ((فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ))(سورة الرحمن، 56).

وفي الاصطلاح(عيسى العاكوب، 1994، ص229).: تخصيص شيءٍ بشيءٍ بطريقٍ مخصوص. تقول: (ما نزارٌ إلاّ شاعرٌ) تريد بهذا التركيب تخصيص نزار بـ (الشعر) وقصره على هذه الملكة. والطريق المخصوص للقصر في هذا المثال: فهو النفي(ما) والاستثناء (إلاّ).

5) **الإنشاء:** الإنشاء-لغةً-الابتداء أو الخلق، أو الابتداع(ابن منظور، 1980، مادة نشأ). واصطلاحاً: قال الشريف الجرجانيّ: "الإنشاء قد يقال على الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه"(عبد القاهر الجرجاني، د.ت، ص32). والإنشاء قسمان:(أحمد مطلوب، 1987، ص332). الأول: الإنشاء الطلبيّ، وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، وهو خمسة أنواع: الأمر، النهي، الاستفهام، التمني، النداء. الثاني: الإنشاء غير الطلبيّ، وهو مالا يستدعي مطلوباً غير حاصلٍ وقت الطلب. وله أساليب متعدِّدة: صيغ المدح والذمّ، التعجّب، القسم، الرجاء، صيغ العقود (بعت) و(اشتريت) و(قبلت).

6) **الإيجاز: لغةً**: وَجُزَ الكلام وجازةً ووجزاً وأوجز: قلَّ في بلاغة، وأوجزه اختصره، وأمر وجيز وكلام وجيز أي: خفيف مقتصر" (ابن منظور، 1980، مادة وجز).

اصطلاحاً: قال الجاحظ "قلة عدد اللفظ مع كثرة المعاني"(الجاحظ، د.ت، ص28). وقال الرازي في تعريفه: إنه العبارة عن الغرض بأقلّ مايمكن من الحروف من غير إخلال"(الرازي، 2004، 145).

وللإيجاز نوعان:

أ- إيجاز القِصَر(عيسى العاكوب، 1994 ص322): ويسمّونه إيجاز البلاغة، ويتحقّق بأداء المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة دون حذف. ومثاله قوله تعالى: ((وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) (سورة البقرة 179). فقد تضمّنت هذه الجملة من المعاني الكثير. إذ جعلت في قتل القاتل حياةً للناس، فحين يضع

القاتل في حسابه أنّه متى قتل اقتُصَّ منه فقُتِل، يتفادى القتل ويمتنع عنه أيّما امتناع. وفي هذا حياةٌ له ولمن همَّ بقتله، وهي بهذا أوفى وأبلغ من قول العرب: (القتل أنفى للقتل).

ب- إيجاز الحذف: ويتحقّق بأداء المعنى مع حذف شيءٍ من التراكيب تدلُّ عليه قرينه.

7) **الإطناب:** الإطناب-لغةً(ابن فارس، 1979، ص538). - يدلُّ على ثبات الشيء وتمكنّه في استطالة، يقال: طنَّب بالمكان: أقام. ومنه: أطنب في الشيء: إذا بالغ، كأنه ثبت عليه إرادةً: للمبالغة فيه.

اصطلاحاً: قال السكَّاكي: "هو أداؤه –الكلام– بأكثر من عباراتهم سواءٌ كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل"(السكاكي، 1996، ص133). وقال ابن الأثير: "والذي يُحدُّ به أنْ يقال: هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة.

فهذا حدَّه الذي يميزه عن التطويل؛ إذ التطويل هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة، وأمّا التكرير فإنَّه دلالة على المعنى مردّداً "(ابن الأثير، د.ت، ص128). "ومثال الإطناب قوله تعالى: ((قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا)) (سورة مريم4). وكان من الممكن تأدية المعنى بقوله (ربِّ إنّ كبرت) فهذا أصل المراد، وما زاد عن ذلك إطناب.ولكن هذه الزيادة يقتضيها موقف بث الشكايا واستدرار الرحمة واستعطاف البارئ جلَّ وعلا"(عيسى العاكوب، 1994 ص328). وللإطناب أنواع كثيرة سنذكر أهمها: الإطناب بالاعتراض(أحمد مطلوب، 1987، ص227).: وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متّصلين معنىً بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة كالتنزيه والتعظيم في قوله تعالى: ((وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُون)) (سورة النحل 57). والدعاء في قول المتنبي:

وتَحتَقِرُ الدُّنيا احتِقَارَ مجرَّبٍ يرى كلَّ ما فيها – وحاشَاكَ- فانيا

الإطناب بالتتميم: قال القزويني: "هو أن يؤتى في كلام لا يُوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة"(الخطيب القزويني، 2003، ص205). كالمبالغة بقوله تعالى: ((وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)) (سورة الإنسان8). فقد زيد في الجملة (على حبه) للتدليل على فرط سخائهم، فالجود الحقيقي يكون حين تجود وما لديك إلاّ القليل.

الإطناب بالتوشيع: "وهو أن يؤتى في آخر الكلام بمثّنى مفسَّر باسمين، ثانيهما معطوف على الأول، وبذلك يُرى المعنى في صورتين، يخرج فيهما من الإبهام إلى الإيضاح"(عيسى العاكوب، 1994 ص331). ومثاله قول الشاعر:

سقتني في ليلٍ شبيهٍ بشعرها شبيهة خدَّيها بغير رقيب

فما زلت في ليلين: شَعرٍ وظلمةً وشمسين: من خمرٍ ووجه حبيبِ

فالشاهد قوله: (ليلين: شعر وظلمة) و (شمسين: خمر ووجه حبيب).الإطناب بعطف الخاصّ على العام(عيسى العاكوب، 1994 ص332).: وذلك للتنبيه على فضله ومنزلته، حتّى كأنه ليس من جنسه، كقوله تعالى: ((حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)) (سورة البقرة238). فقد أفردت الصلاة الوسطى بالذكر مع أنّها من الصلوات الخمس، تنويهاً لفضلها وكأنّها من جنس آخر.

الإطناب بعطف العام على الخاص(عيسى العاكوب، 1994 ص332).: وذلك للدلالة على الاهتمام بالخاص بذكره مرّتين، كقوله تعالى: ((وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)) (سورة آل عمران84).

ثانياً: البيان:

"البيان-لغةً- ما يبينُ به الشيء من الدلالة وغيرها. وبان الشيءُ: اتّضح فهو بيّن، واستبان الشيءُ: ظهر، والبيان: الفصاحة واللسن،كلامٌ بينٌ: فصيح والبيان: الإفصاح مع ذكاء والبينُ من الرجال: الفصيح السمحُ اللسان. وفلان أبينُ من فلان أي أفصحُ منه وأوضحُ كلاماً، والبيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من حُسن الفهم وذكاء القلب مع اللسن، وأصله: الكشف والظهور"(ابن منظور، 1980، مادة بين). والبيان في اصطلاح البلاغيّين له تعريفات عديدة غير أنها تتقاطع معاً وتتلاقى في معنى الكشف والإيضاح والفهم والإفهام.

فقد عرفه الجاحظ بقوله: "البيان اسمٌ جامعٌ لكلّ شيءٍ كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دونَ الضمير حتى يفضي السامعُ إلى حقيقته ويهجمَ على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان ومن أيّ جنس كان ذلك الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنّما هو الفهمُ والإفهام فبأي شيءٍ بلغت الأفهام وأوضحت عن المعاني فذلك هو البيان في ذلك الموضع"(الجاحظ، د.ت، ص76). وعرّفه ابن رشيق فقال: "البيان: الكشفُ عن المعنى حتّى تدركه النفس من غير عُقلة، وإنّما قيل ذلك لأنّه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدلُّ ولا يستحقُ اسم البيان"(ابن رشيق القيرواني، 1969، ص254). ثم جاء السكّاكي في كتاب مفتاح العلوم وقسم البلاغة إلى المعاني والبيان وما يلحق بهما من محسّنات معنويّة ولفّظية، فقال في تعريف البيان: "أمّا علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرقٍ مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليُحترزَ بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"(السكاكي، 1996، ص77). وأدخل الدلالات في تقسيم موضوعاته التي انحصرت في التشبيه والمجاز والكناية.

ثمَ جاء القزويني وسار على هدُى السكّاكي وعّرف البيان بقوله: "هو علمٌ يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرقٍ مختلفةٍ في وضوح الدلالة عليه"(الخطيب القزويني، 2003، 212). وهكذا استقرَّ علم البيان عند جمهرة البلاغيين على مباحث ثلاثة أساسية: هي التشبيه والمجاز والكناية. وفيما يلي تفصيل في كلّ قسم منها:

1- التشبيه وأنواعه : التشبيه -لغة- التمثيل، قال سبحانه: ((وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا)) (سورة النساء157).

وتقول العرب: شبَّه إياه، وشبَّهه به، تشبيهاً: مثَّله. والتشبيه -اصطلاحاً- الدلالة على مشاركة أمرٍ لأمرٍ في معنى بإحدى أدوات التشبيه لفظاً أو تقديراً، لغرضٍ يقصده المتكلم(عيسى العاكوب، 1994 ص355). فحين تقول: (عنترة كالأسد في الشجاعة) تكون قد دللت على مشاركة عنترة للأسد في معنى هو(الشجاعة) بواسطة أداة هي

الكاف، لبيان مال عنترة من حيث اتصافه بالشجاعة.وللتشبيه أربعة أركان هي: المشبّه: وهو الركن الأول الذي يراد إلحاقه بغيره. المشبّه به: وهو الركن الثاني الذي يلحق به المشبّه، ويسمى هذان طرفي التشبيه.

وجه الشبه: وهو الصفة المشتركة بين طرفي التشبيه، ويكون في المشبّه به أقوى منه في المشبّه، وقد يُذكر في الكلام، وقد يُحذف.

أداة التشبيه: وهي اللفظ الذي يتُّم به الربط بين طرفي التشبيه، وقد تُذكر الأداة وقد تُحذف.

أنواع التشبيه: للتشبيه عدة أنواع منها ما يكون تبعاً لوجه الشبه، ومنها ما يكون تبعاً للأداة وإليك تفصيلها:

1- **التشبيه تام الأركان:** وهو التشبيه الذي يتوافر على أركان التشبيه الأربعة: كقول الشاعر:

أنت مثلُ الغُصنِ ليناً وشبيهُ البدر حسناً

فقد اشتمل التشبيه في البيت السابق على أركانه الأربعة المشبّه: أنت، المشبّه به: الغصن، الأداة: مثل، وجه الشبه: ليناً، ومثله الشطر الثاني.

2- **التشبيه المؤكَّد:** وهو التشبيه الذي حُذفت منه أداة التشبيه، إشعاراً بأنَّ المشبّه عينُ المشبّه به مبالغةً، وذلك أثبت في النفس وأرسخ.ومنه قول الشاعر:

همُ البحورُ عطاءً حينَ تسألُهم وفي اللّقاء إذا تُلقى بهم بُهَمُ

3- **التشبيه المُجمل:** وهو التشبيه الذي حُذف منه وجه الشبه، وذلك للدلالة على أنَّ المشبّه قد شارك المشبّه به في مجمل صفاته كقولهم: (النحو في الكلام كالملح في الطعام) فقد حُذف وجه الشبه وهو هنا (الإصلاح).

4- **التشبيه البليغ:** وهو التشبيه الذي حُذف منه وجه الشبه والأداة واكتفى بطرفي التشبيه: المشبّه والمشبّه به. ومنه قول النابغة في الملك المنذر:

فإنك شمسٌ والملوك كواكبُ إذا ظهرت لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

5- **التشبيه البليغ الإضافي**(عيسى العاكوب، 1994 ص409).:وفيه يضاف المشبّه به إلى المشبّه بعد حذف الأداة وتقديم المشبّه به على المشبّه (المشبّه به: مضاف، والمشبّه: مضاف إليه).ومنه قول ابن خفاجة يصف اعتدال الربح وقت الأصيل:

والربح تعبثُ بالغصون وقد جرى ذَهبُ الأصيل على لُجينِ الماءِ

فقد شبه الشاعرُ الماء بالفضة في النقاءِ والصفاءِ، إذ أصلُ تعبيره: ماءٌ كاللّجين، ثمَّ حذف الأداة وقدّم المشبّه به على المشبّه ثمَّ أضافه إليه.

6- **تشبيه التمثيل:** وهو تشبيه صورةٍ بصورة ويكون وجه الشبه فيه مركّباً من متَّعدد، ومثاله قول بشار:

كأن مُثارِ النّقع فوق رؤوسنا وأسيافَنا ليلٌ تَهاوى كواكبُه

فقد شبّه صورة مثار النّقع مع لمعان السيوف بصورة الليل الذي تهاوى مع كواكبه.

ووجه الشبه مُنتزعٌ من متعدِّد وهو الهيئة الحاصلة من تساقط أجزاء مشرقة متناثرة في أثناء شيءٍ مُظلم. ومنه أيضاً قول المتنبي في وصف الأسد:

يطأُ الثرى مترفّقاً من تيهِهِ كأنّه آسٍ يجسُّ عليلا

فقد شبّه صورة مشية الأسد بصورة جسّ الطبيب لمريضه، ووجه الشبه مُنتزعٌ من متعدّد وهو الرفق والإناة والبطء.

7- **التشبيه الضمني**(عيسى العاكوب، 1994 ص423).:

وهو صورة خاصة للتشبيه لا يأتي فيها المُتكلّمُ بالمشبّه والمشبّه به على النهج المعروف، بل يُفهَم فيها التشبيه فهماً ضمنياً قائماً على اللمح والاستنتاج.كقول البحتريّ:

ضحوكٌ إلى الأبطال وهو يَروعُهُم وللسيفِ حدٌّ حين يسطو ورونقٌ

أراد أن يقول الشاعر أنَّ حال الممدوح، وهو يَروعُ الأبطال ويُخيفهم مع أنّه يضحك لهم كحال السيف وهو ينزل على هام الأبطال فيُسقطها مع أنه يلمع ويبرقُ.ومنه أيضاً قول المتنبّي:

من يهنْ يسهلِ الهوانُ عليهِ ما لجُرحٍ بميّتٍ إيلامُ

إنّ حال من اعتاد الهوانَ يستسهلُه كحال الميت يُجرحُ فلا يتألّم.

8- **التشبيه المقلوب**(عيسى العاكوب، 1994 ص426).: وهو تشبيه الزائد بالنّاقص، وإلحاق الأصل بالفرع لقصد لمبالغة، ويُسمَّى التشبيه المقلوب أو المُنعكِس، لأنّ التشبيه يُعكَس فيه فيُجعَل المشبّه مشبّهاً به، والمشبّه به مشبّهاً، قصداً إلى المبالغة. ومثاله: قول الحميري في مدح المأمون:

وبدأ الصباحُ كأنَّ غُرّتهُ وجهُ الخليفةِ حينَ يُمتدَحُ

فادّعى أنّ وجه الخليفة أتمُّ وأكملُ نوراً وضياءً من الصباحِ، قصداً إلى المبالغة في مدح الخليفة بالطلاقة والبِشر عند سماعه المديح.

2 - **المجاز:** يرى عبد القاهر أنّ المجاز –لغةً- مَصدرٌ ميميّ على وزن (مَفْعل) من جاز المكان يجوزه إذا تعداه. ثمّ نقل إلى الكلمة المستعملة في غير ما وُضعت له، لأنها جائزة مكانَها الأصليّ، أو مجوز بها مكانها الأصلي(عيسى العاكوب، 1994 ص448-449).

وللمجاز نوعان: مفرد ومركب.

المجاز المفرد: هو الكلمة المستعملة في غير ما وُضعتْ له في اصطلاح التخاطب، لعلاقة بين المعنى الأول (الوضعيّ) والثاني(المجازيّ)، مع قرينةٍ مانعةٍ من إرادة المعنى الأول. ويقسم المجاز المفرد إلى قسمين: الاستعارة و المجاز المُرسل.

أ- **الاستعارة** لغة: مأخوذة من العارية أي: نقلُ الشيء من شخصٍ إلى آخر حتّى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه، والعارية والعارة: ما تداولوه بينهم. (ابن منظور، 1980، مادة عور).

واصطلاحاً: الكلمة المستعملة في غير معناها الوضعيّ لعلاقةِ المشابهة، مع قرينةٍ مانعةٍ من إرادة المعنى الوضعيّ. وللاستعارة عند البلاغيين تقسيمات كثيرة تبعاً للوِجهة التي ينظرون منها وسنكتفي بذكر أهمها: وهو تقسيم الاستعارة تبعاً لذكر أحدِ طرفيها.(عيسى العاكوب، 1994 ، ص50).

تنقسم الاستعارة من حيث ذكرُ أحدِ طرفيها إلى: **الاستعارة التصريحيّة - الاستعارة المكنيّة.**

1- **الاستعارة التصريحيّة:** هي لفظ المشبّه به المستعار للمشبّه المحذوف، كلفظ القمر في قول البحتريّ:

يؤدّون التحيّة من بعيدٍ إلى قمرٍ من الإيوان بادِ

فلفظ القمر هو المشبّه به المستعار للمشبّه المحذوف (الممدوح). وكقول أحمد شوقي في عمر المختار:

يأيُّها السيفُ المُجَّرد في الفلا يكسو السيوفَ على الزمانِ مضاءا

فلفظ السيف هو لفظ المشبه به المستعار للمشبّه المحذوف (عمر) وكذلك السيوف مستعارٌ للمشبّه المحذوف (المجاهدين).

2- **الاستعارة المكنيّة:** قال الرازي في تعريفها: "هذا إذا لم يُصرَّح بذكر المستعار بل ذُكِر بعض لوازمه تنبهاً به عليه"(فخر الدين الرازي، 2004، ص 92). وهي عند جمهرة علماء البيان (لفظ المشبّه به المستعار في النفس للمشبّه، والمحذوفُ المدلولُ عليه بذكر شيء من لوازمه وخوّاصه) (عيسى العاكوب، 1994 ، ص488). ومثال ذلك قول أبي ذؤيب الهُذَليّ:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كلَّ تميمةٍ لا تنفَعُ

حيثُ شبّه الشاعر المنيَّة بحيوانٍ مفترسٍ، ثمَّ حذف المشبّه به و ترك شيئاً من لوازمه ليدلَّ عليه.ومنه أيضاً قول الشاعر:

الرّيحُ تحسدني عليك- ولم أَخَلْها في العِدَا

حيثُ شبّه الريحَ بإنسان يحسدُ، حذف المشبّه به وترك شيئاً من لوازمه ليدلّ عليه.

ب- **المجاز المرُسَل:** "الكلمة المستعملة في غير ما وُضِعتْ له لعلاقة غير المُشَابهة، مع قرينةٍ مانعةٍ من إرادة المعنى الوضعيّ"(عيسى العاكوب، 1994 ، ص500). ومثاله قول المتنبي:

ما كلُّ ما يتمنى المرءُ يُدركُه تجري الرياحُ بما لا تشتهي السُفُنُ

فكلمة (السفن) استُعملت في غير ما وُضعتْ له، إذ تعني السّفن هنا رُكّاب السّفن.ومُسوّغ هذا الاستعمال علاقة بين الدّلالة الوضعيّة للسفن ودلالتها السياقيّة هنا؛ وهي كون السفن محلًّا لهؤلاء الرّكاب، وجَليٌّ أنّ هذه العلاقة ليست هي المشابهة، وإذاً لكان المجاز هنا استعارة، وقرينة المجاز هنا قوله (تشتهي).

3- **الكناية:** الكناية –لغةً(ابن فارس، 1979، ص92) - تدلُّ على توريةٍ عن اسم بغيره، يُقال: كنيت عن كذا: إذا تكلَّمتُ بغيره ممَّا يُستَدلُّ به عليه.وكنوتُ أيضاً وممَّا يُوضحُ هذا قول الشاعر:

وإنّي لأكنو عن قدورٍ بغيرها وأُعرِبُ أحياناً فأصارحُ

ألا تراه جعل الكناية مقابلةً للمصارحة، ولذلك تُسمَّى الكُنية كُنيةً، كأنَّها تورية عن اسمه.

الكناية اصطلاحاً(عيسى العاكوب، 1994 ص535): لفظٌ أُريدَ به لازم معناه الوضعيّ مع جواز إرادة ذلك المعنى مع لازمه. أقسام الكناية من حيثُ طبيعةُ مدلولها: تنقسم الكناية من حيثُ الشيء المدلول عليه (المكنيّ عنه) على ثلاثة أقسام:

الكناية عن صفة: وهي أن يُذكر المتُكلّم موصوفاً، وينسبِ إليه صفةً غير مرادةٍ بذاتها ولكن يُستدلُّ بها على صفةٍ أخرى هي المرادةُ. ومثالها قوله تعالى: ((ولو كنتَ فظّاً غليظَ القلبِ لانفضّوا من حولك)).فلفظ (غليظ القلب) كناية عن صفة الفظاظة والجفوة.

الكناية عن موصوف: وهي أن يذكر المتكلِّم صفةً خاصّةً بموصوف، تدلُّ عليه لاختصاصه بها.ومثالها قول: ((جاءَ هادمُ اللّذات، ومفرّق الجماعات)).كناية عن موصوف هو الموت. وكقول الشاعر:

الضاربين بكلّ أبيضَ مخِدمٍ والطاعنين مَجامعَ الأضغانِ

فمجامعُ الأضغان كناية عن القلوب.

الكناية عن نسبة: وهي أن يَذكر المتكلّم صفةً وموصوفاً، ثمَّ ينسب الصفة لما له صلةٌ (نسبةٌ) بالموصوف، يُستدلُّ بها على نسبة الصفة إلى الموصوف.ومثالها قول الشاعر:

اليُمنُ يَتبــعُ ظِلَّه والمجدُ يمشي في ركِابه

إذ يُستفاد من تَبع اليُمن ظِلَّهُ اختصاصُ الموصوف به.

وكذلك المجد إذ يُفهم من مَشيه في ركابه اختصاصُه به.

ثالثاً- البديع:

البديع -لغةً- بدع الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه: أنشأه وبدأه، وابتدعت الشيء: اخترعته لا على مثال. والبديع: المبدع، والبديع من أسماء الله الحسنى لإبداعه الأشياء وإحداثه إيّاها. وهو البديع الأوّل قبل كلّ شيء. والبديع: الجديد. (ابن منظور، 1980، مادة بدع). البديع -اصطلاحاًعلمٌ يُعَرفُ به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مُقتضى الحال ووضوح الدلالة. -(الخطيب القزويني، 2003، ص334) "إنَّ البديع في القرون الستة الأولى للهجرة كان يدلُّ على فنون البلاغة المختلفة، ولكنّ السكّاكي حينما قسم البلاغة إلى علومها المعروفة أفرد بعض الموضوعات وسمّاها وجوهاً يُصار إليها لتحسين الكلام وقسمها إلى لفظيّة ومعنويّة، وكان بدر الدين بن مالك أول مَنّ أطلق مصطلح البديع على هذه الوجوه والمحسنات"(أحمد مطلوب، 1987، ص 382). " وقد صار جدال بين العلماء حول مدى قيمة المحسنات البديعية ومنزلة علم البديع من علوم البلاغة" (Ahmet، İsmailoğlu ، 2013، 141". وفصل القزويني البديع فصلاً تامّاً عن البلاغة التي جعلها محصورةً في المعاني والبيان، والبديع عنده ضربان: ضرب يرجع إلى المعنى كالمطابقة ومراعاة النظير والإرصاد، وضربٌ يرجع إلى اللفظ كالجناس وردِّ العُجز على الصدر والسجْع" (أحمد مطلوب، 1987، ص384). فالمحسِّنات البديعيّة على قسمين(عيسى العاكوب، 1994 ، ص556).:

المحسنات المعنوّية: وهي التي يكون التجميل بها راجعاً إلى المعنى أصلاً، وإنْ تبعَ ذلك تجميل اللفظِ فإنّه غير مقصود.

المحسّنات اللفظيّة: وهي التي يكون التجميل بها راجعاً إلى اللفظ أصلاً، وإن تبعَ ذلك تجميل المعنى فإنّه غير مقصود.

أولاً-**المحسّنات المعنوية:** ولها أنواعٌ كثيرةٌ سنقف عند أهمها في هذا البحث.

1- **الطباق:** ويسمَّى الطباق والتضادّ، وفي الاصطلاح البلاغيّ: "أنْ يجمعَ المتكلّم في كلامه بين لفظين يتنافى وجودُ معنيهما معاً في شيءٍ واحد في وقتٍ واحد، أي يجمع في كلامٍ واحدٍ معنيين متقابلين(عيسى العاكوب، 1994 ص559). "

وللطباق نوعان: طباق الإيجاب: وهو أن يُجمع بين لفظين تضادّ معنياهما وكلٌّ منهما مثبت:

كقوله تعالى: ((وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا)) (سورة الكهف18).، وقوله: ((هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)) (سورة يونس56).

طباق السلب: وهو أن يُجمع بين فعلي مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفيّ، أو أحدهما أمر والآخر نهي. فمن الأول قوله تعالى: ((وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) (سورة الروم6-7). ومن الثاني قوله: ((فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ)) (سورة المائدة 44).

2- **المقابلة:** وتعني عند البلاغيين "أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو عدَّة معانٍ متوافقة، ثمّ يُؤتى بمتقابلاتٍ لها على ترتيبها"(عيسى العاكوب، 1994 ص562).

وتكون المقابلة من حيث عددُ المتقابلات: بين معنيين: كقوله تعالى: ((فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) (سورة التوبة82). جاء بالضحك الموصوف بالقلّة، ثمَّ بما يقابله وهو البكاء الموصوف بالكثرة. بين ثلاثة معانٍ: كقوله تعالى: ((وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)) (سورة الأعراف157).

أ- بين أربعة معانٍ: كقوله تعالى: ((فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ، وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ))(سورة الليل 5-10).

ب- بين خمسة معانٍ: كما في قول المتنبي:

أزورهم وسوادُ اللّيلِ يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي

فألفاظ الشكل الشطر الثاني تقابل ألفاظ الشطر الأول على الترتيب بين ستّةِ معانٍ: كقول الشاعر:

على الرأس عبد تاج عِزّ يَزِينُه وفي رجل حُرٍّ قَيدُ ذُلٍّ يشينُه

والمقابلة واضحة.

3- **الإرصاد:** الإرصاد لغةً(ابن منظور، 1980، مادة صد): الانتظار والإعداد، ويُقال: أرصدته إذا قعدتَ له على طريقه ترقبه.

الإرصاد اصطلاحاً(عيسى العاكوب، 1994 ص566).: أن يُجعلَ قبل الفاصلة من الفقرة النثرية أو القافية من البيت الشعريّ، ما يدلُّ عليها إذا عُرفَ الرويّ. ومن الإرصاد في الفِقرة النثريّة قوله تعالى سبحانه: ((ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ)) (سورة سبأ 17). فالسامع بعد الوقوف على قوله تعالى (هل نُجازي) وبعد الاطلاع على ما تقدم سيعرف أنَّ الفاصلة هي الكفور.ومن الإرصاد في الشّعر قول زهير:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعشْ ثمانين حولاً لا أبا لك يسأمِ

فإنَّ السامع بعد الوقوف على قوله (ومن يعش) وبعد أن أحاط بما تقدّم سيعرف أنّ القافية يسأم.

4- **المشاكلة:** وهي –لغةً- المماثلة والمشابهة. واصطلاحاً(عيسى العاكوب، 1994 ، ص568): أنْ يُعبَّر عن شيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته.ومثالها في الذكر الحكيم قوله تعالى: ((تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)) (سورة المائدة 116). أي: ولا أعلم ما عندك، حيث أطلق النفس على الذات العليّة، لوقوعها في صحبة نفسه. ومثالها في الشّعر قول الشاعر:

مَنْ مُبلغٌ أفناءَ يَعْرُبَ كلَّها أنّي بَنيتُ الجارَقبل المَنزِلِ

أي: اخترت الجار، ذكر اختار بلفظ بنى بوقوعه في صحبة بناء المنزل.

5- **التورية:**"وتُسمّى الإيهام والتخيّيل، والتورية-لغةً- مصدر ورّى الشيء أي: أخفاه، أو ورى عنه أي: أراده وأظهر غيره.

وفي الاصطلاح البلاغيُ: أنْ يُذكر لفظٌ له معنيان: قريبٌ دِلالة اللفظ عليه ظاهرة لكثرة استعماله، وبعيدٌ دِلالة اللفظ عليه خفيّة لقلّة استعماله فيه، ويُراد البعيد اعتماداً على قرينة"(عيسى العاكوب، 1994 ، ص572). ومثالها: قول سراج الدين الورّاق:

أصون أَديمَ وجهي عن أناسٍ لقاءُ الموت عندهم الأديبُ

وربُّ الشِّعر عنـــدهم بغيضٌ ولو وافى به لهمُ (حبيبُ)

فلفظ (حبيب) له معنيان قريب غير مراد وهو بمعنى المحبوب، وبعيد وهو المراد وهو (حبيب بن أوس أبو تمّام) والقرينة التي دلّت على أن المراد هو المعنى الثاني البعيد هي سياق الكلام، وهي أنَّهم يُبغضون الشِّعر ولو أتى به أحد فحوّل الشعر كأبي تمّام.

6- **الاستخدام:** يريد البلاغيون "أن يُذكر في الكلام لفظٌ ذو معنيين يُرادُ أحد هذين المعنيين، ثمَّ يُعادُ عليه ضميرٌ أو إشارةٌ بمعناه الآخر، أو يُعاد عليه ضميران يُرادُ بثانيهما غير ما يُرادُ بالأوّل"(عيسى العاكوب، 1994 ، ص576). كقوله تعالى: ((فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)) (سورة البقرة 185). لفظ (الشهر) هنا له معنيان: الهلال، وأيّام رمضان، وقد أُريدَ بلفظه الصريح معناه الأوّل: الهلال، وأريد بضميره العائد عليه الهاء في (يصمه) أيام رمضان.

7- **الجمع:** ويعني عند البلاغيين "أن يَجمع المتكلّم في كلامه بين شيئين فأكثر في حكم واحد"(عيسى العاكوب، 1994 ص580). ومثال الجمع بين شيئين: قوله تعالى: ((الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)) (سورة الكهف46). ومثال الجمع بين أكثر من اثنين قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) (سورة المائدة90).

8- **التفريق:** ويعني عند البلاغيين "أن يُفرِّق المتكلِّم بين أمرين من جنسٍ واحد في معنىً يختلفان فيه"(عيسى العاكوب، 1994 ص581). ومثاله قوله تعالى: ((وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ)) (سورة فاطر12). فقد فرّق في الحكم بين أمرين من جنسٍ واحدٍ (البحرين) في الطعم.

الجمع مع التفريق: ويعني عند البلاغيين "أنْ يجمع المتكلِّم بين شيئين في حكم واحد ثمَّ يفرّق بين جهتي ادخالهما"(عيسى العاكوب، 1994 ص584). ومثاله قوله تعالى: ((وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً)) (سورة الإسراء12). جمع بين الليل والنهار في حكم واحد هو جعلها آيتين، ثمَّ فرَّق بين جهتي ادخالهما في هذا الحكم: الليل مظلم والنهار مُضيء.

ثانيا- **المحسّنات اللفظيّة:**ولها عدّة أنواع سنقف على أهمّها في هذا البحث إن شاء الله.

1- **الجناسُ:** يريدُ به البلاغيّون "أن يتَّفق اللفظان في وجهٍ من الوجوه مع اختلاف المعنى"(عيسى العاكوب، 1994 ص632). وهو نوعان: تامٌّ، وغير تامّ.

الجناس التام: وهو أن يتَّفق اللفظان في عدد من الحروف ونوعها وهيئتها وترتيبها، مع اختلاف المعنى.

كقوله تعالى: ((وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ)) (سورة الروم 55). فقد اتفقت لفظتا ساعة في الأمور السابقة واختلفتا في المعنى، فالساعة الأولى يوم القيامة، والثانية ساعة من الوقت.

وقد يأتي اللفظان متماثلان من حيث كونُها اسماً أو فعلاً أو حرفاً، وقد يختلفان فيكون أحدهما اسماً والآخر فعلاً، وقد يأتي أحدُ اللفظين مركّباً والآخر مفرد مع اتفاق اللفظين في الرسم فيكون مركّباً متشابهاً كقول البُستي:

إذا مَلكٌ لم يكن ذاهِبَهْ فَدَعْهُ فدولَتُه ذَاهِبَه

فالأوّل مركّب من لفظين (ذا + هبة) أي: صاحب عطيّة، والثاني مفرد (ذاهب) زائلة، وقد يكون اللفظان مركبين كقول الشاعر:

فلم تُضع الأعادي قَدْرَشاني ولا قالوا: فلانٌ قَد رشاني

فالأوّل مركّب من القدر والشأن، والثاني مركّب من (قد) الحرفيّة والفعل رشاني.

أ- **الجناس غير التامّ:** وهو أن يختلف اللفظان في واحدٍ من الأمور السابقة كعدد الحروف أو هيئتها أو نوعها أو ترتيبها. كقوله تعالى: ((وهم ينهون عنه وينئون عنه)) فقد اختلفا في النوع بين الهاء والهمزة.وقوله تعالى: ((وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ)) (سورة القيامة29-30). فقد اختلفا في عدد الحروف فقد زيدت الميم في اللفظ الثاني (مساق). وقول الشاعر:

من بحر شعرك أغترف وبغيض علمك أعترف

فقد اختلف اللفظان في الهيئة من حيث النقط بين العين والغين يسَّمى مصحّفاً.وقوله عليه الصلاة والسلام: (اللّهمَّ استر عوراتنا، وآمن روعاتنا).فقد اختلف اللفظان في ترتيب الحروف.

2-السَّجع: يريد به البلاغيّون: "توافق الفاصليتين من النثر على حرفٍ واحدٍ في الآخر"(عيسى العاكوب، 1994، ص645). وله ثلاثة أنواع: (عيسى العاكوب، 1994 ، ص646). مُطرّف ومرصّع ومتواز.

أ- **السَّجع المطرّف:** وهو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن واتفّقنا في الحرف الأخير أو الطَّرف، كقوله تعالى: ((مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا)) (سورة نوح 13-14). (وقَارا) و(أطْوارا) اختلفتا في الوزن فالقاف متحرِّك والطاء ساكن.

ب- **السَّجع المُرصَّع:** وهو ما اتفقت فيه ألفاظ القرينتين أو أكثرها في الوزن والتقفية. كقول الحريري: "فهو يطبعُ الأسجاع بجواهر لفظِه، ويقرعُ الأسماعَ بزواجر وعظِه" عيسى العاكوب، 1994 ، ص646).

ث- **السَّجْع المتوازي:** وهو ما اتفقت فيه الفاصلتان وزناً وتقفيةً مع اختلاف ما عداهما في: الوزن والتقفية. في الوزن فقط. في التقفية فقط. فالأوّل كقوله تعالى: ((فيها سررٌ مرفوعة، وأكوابٌ موضوعة))، فقد اتّفقت الفاصلتان واختلفت سرر وأكواب وزناً وتقفيةً. الثاني كقوله تعالى: ((وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا)) (سورة المرسلات1-2). اتفقت الفاصلتان وزناً وتقفيةً، واختلفت المرسلات والعاصفات وزناً فقط. ومن الثالث قولهم: "حصل الناطق والصامت، وهلك الحاسد والشامت" . فقد اتّفقت الفاصلتان واختلف ما عداهما في التقفية فقط.

3-الموازنة: الموازنة(عيسى العاكوب، 1994 ، ص650). **لغةً:** مصدر الفعل وازن بين الشيئن إذا سوّى بينهما.

وفي الاصطلاح البلاغيّ: "تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية". ومثالها قوله تعالى: ((وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ، وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ)) (سورة الغاشية 16-17). فلفظا (مصفوفة) و(مبثوثة) متساويان وزناً لا تقفيةً.وإذا تساوت الفاصلتان وزناً لا تقفيةً، وساوت ألفاظ القرينة أو أكثر ألفاظها مقابلاتها في القرينة الأخرى في الوزن أيضاً خُصَّ هذا الضرب

باسم (المماثلة) كقوله تعالى: ((وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ، وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (سورة الصافات 117-118).

4-القلب:وهو عند البلاغيين "أنْ يأتي الكلام على نَحوٍ تستطيع أن تَقرأهُ معكوساً دون أن يتغير المعنى"(عيسى العاكوب، 1994 ، ص651). وشرطه أن يكونَ جيِّدَ السّبْك مُنسجمَ المعاني لا تكلُّفَ فيه.ومثاله قوله تعالى: ((كُلٌّ فِي فَلَكٍ)) (سورة الأنبياء 33)،. وقوله: ((وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)) (سورة المدثر3). ومثاله قوله في الشِّعر قول القاضي الأرجانيّ:

مودّتُه تدومُ لكلّ هولٍ هل كلٌّ مودَّتُه تدومُ

5-التشريع:وقد يسمى (التوشيح) و (ذا القافيتين) ويعني: "أن يُبنى البيتُ على قافيتين يصِحُّ المعنى عند الوقوف على كلّ منهما"(عيسى العاكوب، 1994 ، ص652). ومنه قو الحريري:

يا خاطب الدنيا الدنيّة، إنَّها شَرَكُ الرّدا وقرارة الأكدارِ
دَارٌمتى ما أضحكت في يومها أبكت غداً بُعْداً لها من دارِ
غاراتُها لا تنقضي وأسيرُها لا يُفْتدَى بجلائلِ الأخطارِ

هذه الأبيات منظومة على البحر الكامل وقافيتها (داري - طاري). وفي مقدورنا أن نقف على قافيتها الأولى (كرّدى – كتْغدا - يُفتدى). فيكون عندنا أبياتٌ منظومة على مجزوء الكامل:

يا خاطب الدنيا الدنيّة إنـها شركُ الرَّدى
دارٌمتى ما أضحكت في يومها أبكت غدا
غاراتــها لا تنقضي وأسيرها لا يفتــدى

الخاتمة :

لا يمكن أن أقدِّم للبلاغة العربية بهذه السطور القليلة ، ولكني حاولت أن أتتبع المراحل التي تقدَّمت فيها البلاغة العربية منذ العصر العباسي ، فالبلاغة العربية ركن أساسي من الدراسات القرآنية والفقهية كما أنها ركن أساسي من دراسة البلاغة النبوية في الحديث الشريف .

حاولت في بحثي أن أقدم لتاريخ البلاغة العربية من خلال أهم البلاغيين العرب ، وبينت أهمية هؤلاء العلماء مثل الجاحظ والسكاكي وعبد القاهر الجرجاني ، كما بينت البدايات التي انطلقت منها الدراسات البلاغية ، ثم بعد ذلك حاولت أن أقدِّم دراسة موجزة عن المصطلحات البلاغية وبينت معنى الفصاحة والبلاغة والبليغ من خلال مقارنة بين تعريفات العلماء القدامى ، ولاحظت أن ثمة تطور ملحوظ في حركة البلاغة العربية من النشأة وحتى عهد السكاكي حيث استوت البلاغة واستقرت في زمن عبد القاهر الجرجاني الذي استطاع تكوين نظرية بلاغية ناضجة في العربية .

ثم انتقلت بعد ذلك إلى مصطلحات علم البلاغة وكما هي عادة العلماء قسمتها إلى علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع .

ثم بعد ذلك بينت أقسام كل قسم وضربت مثلا عن كل قسم ، وحرصت أن تكون الأمثال من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأشعار العرب .

المصادروالمراجع

المصادر:

القرآن الكريم .

ابن الأثير، (د.ت)، **المثل الثائرفي أدب الكاتب والشاعر** ، تح : أحمد الحوفي – بدوي طبانة ، دار النهضة – مصر.

ابن رشيق القيرواني، (1969م). **العمدة في محاسن الشعروأدبه** ، تح عبد السلام هارون ، دار الكتب العلمية.

ابن منظور :**لسان العرب**(، 1980م) ، دار صادر ، بيروت .

أبو الحسن بن أحمد ابن فارس، (1980م)، **مقاييس اللغة**، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر

أبو فرج الأصفهاني، (1977م)، **لأغاني**، تح الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (1968 م)، **رسائل الجاحظ**، أربعة أجزاء ، تح عبد السلام هارون، مصر، ط2.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (1938م)، **الحيوان**، تح عبدالسلام هارون، ج1 ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (د.ت)، **البيان والتبيين**، تح عبدالسلام هارون، ج1-4، مكتبة الخانجي، القاهرة.

الحصري القيرواني ، (1916م) ، **زهر الآداب وثمر الألباب** ، مصر.

الخطيب القزويني، (2003م) ، **الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع** : ، تح: إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية ، بيروت.

عبد القاهر الجرجاني، (د.ت) ، **التعريفات** ، تح : محمد صديق المنشاوي – دار الفضيلة.

عبدالقاهر الجرجاني، (1992م)، **أسرار البلاغة**، قرأه محمود محمد شاكر، ط3، دار المدني، جدة .

العسكريّ، أبو هلال، (1952م)، **سرّ الصناعتين**، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، ط1، دار إحياء الكتب العربية.

عمر بن عثمان، سيبويه، (1988م) **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.

فخر الدين الرازي، (2004م)، **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، تعليق د. نصر الله أوغلي ، دار صادر ، بيروت .

يوسف ابن أبي بكر السكاكي ، (1996م) **مفتاح العلوم** ، دار الكتب العلمية ، م .

KAYNAKÇA

المصادروالمراجع :

أحمد مطلوب ، (1987م)، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها** ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي .

خير الدين الزركلي، (2002م) ، **الأعلام** ، دار العلم للملايين ط 5.

عبد العزيز عتيق، (1980م)، **في تاريخ البلاغة العربية** ، دار القلم ، دمشق .

عيسى العاكوب، (1994م) ، **المفصّل في علوم البلاغة العربية** ، مطبعة جامعة حلب .

فايز الدايه، (1993م)، **البلاغة العربية** ، مطبعة جامعة حلب .

مازن مبارك، (د.ت) **الموجز في تاريخ البلاغة**، دار الفكر، بيروت.

موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين.

İsmailoğlu، Ahmet ،(2014)، **من الخصائص البلاغية للتقديم والتأخير في القرآن الكريم**، *Nüsha Dergisi*، sayi:39، s.129.

İsmailoğlu، Ahmet ،(2013)، **منزلة البديع من علوم البلاغة**، *Nüsha Dergisi*، sayi:3،6 s.141.